كانت هذه أول مرة أذهب فيها الى نادى السيارات بالأسكندرية . كنت مضطرا الى مقابلة الدكتور يوسف رشاد الصديق الشخصى للملك فاروق ، لأقنعه بعدم وجود أى تنظيم سرى للضباط الأحرار فى الجيش المصرى !

كان الملك فاروق يثق فى كل كلمة يقولها يوسف رشاد . وكان يوسف يصدق كل ما اقوله له ، وهكذا استطاع يوسف رشاد ان يخدم حركة الضباط الاحرار ، ويخدم ثورة ٢٣ يوليو ، وينقذ رقابنا من الشنق ، دون ان يدرى !

صديق الملك أنقذ الثورة !

عرفت هؤلاء

بقلم : انور السادات

عدت الى الجراولة ، بالقرب من مرسى مطروح ، بعد حفظ التحقيق معى فى حادث سقوط طائرة الطيار حسين نو الفقار صبرى التى كانت تقل الفريق عزيز المصرى والطيار عبد المنعم عبد الرءوف .

عدت الى الصحراء النائية مرة اخرى ، مبعدا بامر من المخابرات العسكرية بعدم الخدمة فى المدن ، لوقف نشاطى وقطع اتصالى بعزيز المصرى . وكانت الحياة فى الجراولة هادئة ، و نقتل ساعات النهار الطويلة فى العوم ، ومزاولة الرياضة .

اما ساعات الليل فكنت امضيها فى المناقشات السياسية – حول مانسمع عنه من تطورات الحرب العالمية الثانية – مع زميلى الضابط طبيب يوسف رشاد . وقتها كانت المانيا الهتلرية تغزو روسيا وتهاجمها . وكانت المناقشات حول هذا الغزو ، عاملا مخففا للوحدة ، والملل ، فى هذا المكان النائى فى قلب الصحراء .

وذات يوم جاء من يحمل ليوسف رشاد الخبر السعيد الذى ظل ينتظره ، ويحلم به .

جاء من يقول ليوسف رشاد :

مبروك . لقد صدر قرار بنقلك للخدمة كطبيب فى الحرس الملكى . وعليك ان تسافر فورا وتقدم نفسك لقائد الحرس الملكى . فى الاسكندرية .

وفرح يوسف رشاد فرحا عظيما . فقد تحققت امنيته التى كان يحلم بها منذ زمن طويل . لقد انتقل – فجاة – من الخدمة فى الصحراء القاحلة ، النائية ، ليخدم فى اكثر اماكن العاصمة اثارة . وحركة . ترك عملية علاج الجنود المرضى ، لينضم الى الخدمة الطبية الخاصة بالقصر الملكى !

وشخصية يوسف رشاد . شخصية لاتنسى ، شخصية يمكن ان نكتب عنها الكثير . فقد وضعته الاقدار امامى ، كما وضعتنى امامه . لقد صدر قرار ابعادى عن الخدمة فى المدن ، تخلصا من اتصالى بعزيز المصرى ، ونقلت للخدمة فى مكان لاعمل فيه ، لالتقى هناك بالضابط طبيب يوسف رشاد ونتصادق ، ليلعب دورا كبيرا فى تشكيل احداث الغد ، ويقدم لنا مساعدة عظيمة – دون ان يدرى – فى انجاح حركة الضباط الاحرار وقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

كان يوسف رشاد ممن يطلقون عليهم اسم « ابن ذوات » فابوه باشا . وعاش حياة ناعمة رغدة ، بلا مشاكل . وكان طويلا ، عريضا واهتم بالرياضة البدنية ، وبكمال الاجسام لدرجة انه اهمل تماما دراسته فى كلية الطب . وبدلا من ان ينهى دراسته

عمر اى طبيب مصرى فى هذا الوقت فتنقله للعمل فى الخدمة الطبية للقصر الملكى .

حقيقة أن هذا الاختيار لم يأت بالصدفه ، بل على العكس من ذلك لقد تدخلت عوامل عديدة من اجل تحقيق هذا النقل . فيوسف ابن ذوات . ابن باشا . ومن الطبيعى جد ان يختار رجال القصر ابناء الذوات وابناء الباشوات للخدمة فى القصر . ولذلك اختاروا يوسف بدلا من غيره الذين تقدموا بطلباتهم ، عقب سماعهم عن خلو مكان طبيب فى القصر بعد وفاة احد اطباء الحرس الملكى ، ليميزه عليهم انتسابه للاسرة الغنية ، وللطبقة الراقية كما كان البعض يطلق عليها فى ذلك الوقت !

ولم يتأخر يوسف رشاد عن تنفيذ امر النقل . لم ينتظر وصول اشعار بذلك من القسم الطبى وانما اكتفى بما وصله عن طريق أحد الضباط ، الذى كان يتابع العملية ، ويقدم الوساطات نيابة عن يوسف رشاد لاختياره لشغل الوظيفة الخالية ، وقرر يوسف ان يغادر الجراولة فى صباح اليوم التالى الى الاسكندرية ليقدم نفسه لقائد الحرس الملكى . فقد كنا فى فصل الصيف ، وكان الملك قد انتقل من القاهرة الى الاسكندرية .

واستيقظ يوسف مبكرا . ومر علينا لتوديعنا . وكأنه لن يرانا مرة أخرى فقد تركنا فى قلب الصحراء النائية وتصور انه ذاهب الى الجنة !

وقبل ان ينتهى نهار هذا اليوم الذى غادرنا فيه يوسف رشاد ، فوجئت باشارة لى تقول :

– يوسف رشاد اصيب فى حادث ونقل الى مستشفى الضبعة ثم مستشفى المواساة بعد ذلك وعرفت ان يوسف انقلب بالسيارة البيك اب التى كان يركبها فى طريقه الى الاسكندرية . وشاء قدره ان تكتب له الحياة من جديد فقد خرج من الحادث باصابات خفيفة ، احتاجت لنقله الى مستشفى الضبعة لعدة

ليظهر أمام الملك . ويتعرف عليه . ويصادقه . ثم يلازمه كظله !

جاءت الفرصة عندما كان الملك فاروق يركب سيارته ويقطع بها الطريق الذى يصل بين القناة وانشاص . وعند مدينة القصاصين تصطدم السيارة فى محاولة تفادى سيارة نقل بريطانية وتنقلب السيارة ويصاب الملك باصابات خطيرة أخطرها الكسر فى عظام الحوض .

كان الوقت ليلا ، ومكان الحادث بعيد عن العاصمة . وتمت اتصالات عاجلة لاحضار الاطباء وكبار الجراحين من كل مكان لانقاذ الملك الذى كان يصرخ من فرط المه ، وكسور عظامه .

وتصادف ان كان الطبيب يوسف رشاد هو الضابط النوبتجى فى الحرس الملكى فى تلك الليلة . وجاء بهذه الصفة – ليكون بالقرب من الملك الراقد بالمستشفى فى القصاصين

بعد ذلك بكذب المعلومات ضدنا .

واذكر بهذه المناسبة اننى ذهبت يوما الى جمال عبدالناصر ، فى شهر يوليو ١٩٥٢ وقلت له :

سأسافر الى الاسكندرية غدا صباحا ياجمال ، لتمضية اجازة هناك فهل تريد شيئا من الاسكندرية ؟

فرد جمال :

– اولا احجز لى فى الفندق الذى تعودنا ان نقيم فيه كل سنة فى منطقة سيدى بشر . وصاحبة الفندق تعرفنى فاطلب منها ان تحجز لى نفس الغرفة التى تعودنا ان ننزل فيها لمدة نصف شهر من كل صيف .

فقلت له : هل تريد شيئا اخر غير حجز الغرفة ياجمال ؟

فقال : ايوة فيه موضوع اخر مهم جدا . هل يوسف رشاد موجود فى الاسكندرية ؟

يايوسف الذى توسطت لاعادته الى الخدمة فى الجيش ؟

وقلت ليوسف : اننى اريدك لامر هام جدا يايوسف فمنذ ستة ايام وانا ابحث عنك هنا فى الاسكندرية دون جدوى . وغدا تنتهى اجازتى وساعود فى الصباح فى طريقى الى مقر عملى بمدينة رفح .

فقال يوسف رشاد : وانا ايضا كنت ابحث عنك وافكر فيك فالحقيقة يانور الملك وحيدر باشا وباقى القواد فى غاية الضيق بسبب المنشور الأخير للضباط الاحرار . لدرجة ان المخابرات ارسلت الى الملك عن الضباط الذين اتهمتهم بانهم وراء هذه العملية ، فما كان من الملك الا انه استدعى حيدر باشا وطلب منه التحقق مما جاء فى تقرير المخابرات العسكرية .. عن وجود تنظيم ، يقوم به ضباط يطلقون على انفسهم اسم الضباط

يزيد عن كونه مبالغات لا اساس لها من الصحة . والان جئت انت واكدت لى ما سبق ان حاولت اقناع الملك به . وافترقنا بعد ذلك ، وغادرت انا وجيهان نادى السيارات وعاد يوسف رشاد الى مائدة الملك ليعيد له تاكيداته بولاء الضباط له ولعهده !

وعدت الى القاهرة فى اليوم التالى وذهبت الى جمال عبدالناصر لأحكى له نص ما دار بينى وبين يوسف رشاد .

وارتاح جمال نتيجة لما سمعه وعلق عليه قائلا :

الحمد لله فقد استطعت ان تنوم الملك الذى سينوم بدوره حيدر باشا وباقى فرقته . فنحن فى اشد الحاجة هذه الأيام لعدم اثارة اية شبهات تكشف عنا او عن هويتنا . وهكذا خدمنا يوسف رشاد ، وخدم حركة الضباط الاحرار ، وخدم ثورة ٢٣ يوليو ، دون ان يدرى